**ما هي النَّازيَّة التي تقول روسيا إنها تحاربها في أوكرانيا؟**

* [د. زياد منصور](https://assoual.com/archives/author/ziadmansour)

* [14/04/2024](https://assoual.com/archives/42926)

**د. زياد منصور**

**حتى الآن لم تحد روسيا عن تحقيق أهدافها العسكرية في أوكرانيا، منذ أن شنت عملية عسكرية ضد أوكرانيا في 24 فبراير- شباط 2022، حيث كان في مقدِّمة هذه الأهداف ما أعلنته صراحة عن تطهير أوكرانيا من النازية. وبقي أنَّ هذا الشعار هو في أساس روح هذه العمليَّة العسكرية الخاصَّة حيث تمكنت الحكومة الرُّوسية بعناد وإصرار من إظهار أنَّ ما هدفت إليه ليس مجرد شعار سياسي، أو يخفي خلفه أهدافًا أخرى، على الرَّغم أنَّ حكومة أوكرانيا وحلفائها الغربيين تنفيان أقله على المستوى الرسمي بشكل قاطع الطبيعة النَّازية لنظام كييف الحالي، معلنين أن هذا هو مجرد دعاية روسية خاوية.**

**لفهم السياق التَّاريخي، يتعين علينا النظر إلى تاريخ أوكرانيا وبعض محطات هذا التَّاريخ.  فحتى عام 1917، كانت الأراضي التي يقطنها الأوكرانيون تندرج تحت سلطة الإمبراطوريتين الروسية والنمساوية المجرية، التي انهارت بسبب الحرب العالمية الأولى. هذا أدى إلى نشوء جمهورية أوكرانيا الشعبية، التي لم تعمِّر طويلاً، والَّتي واجهت صراعاً أهلياً منذ نشأتها، فتورطت في صراع مع الدول المجاورة. من ناحية أخرى أعلن عن إنشاء جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية (UKSR) في المناطق الصناعية في شرق البلاد والَّتي هي الآن تلك المناطق التي تشكل جمهورية لوغانسك الشعبية، وجمهورية دونيتسك LPR. بالنِّسبة للجنوب الأوكراني، فقد تشكلت جيوش من الحرس الأبيض الروسي المناهض للثورة البولشفية، حيث شنت بولونيا هجومًا من الغرب بهدف الاستيلاء على جميع الأراضي التي يقطنها بعض البولنديين. وبحلول عام 1920، تم سحق جمهورية أوكرانيا الشعبية والسيطرة على الوضع بشكل شامل. هكذا أصبحت معظم أراضيها تحت سيطرة جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية، التي أصبحت في عام 1922 جزءًا من الاتحاد السوفيتي، فيما أصبحت أوكرانيا الغربية جزءًا من الدَّولة البولنديَّة.**

**بعد الهزيمة، وجد القوميون الأوكرانيون أنفسهم في المنفى أو تحولوا إلى العمل السِّري. بالنِّسبة لأراضي أوكرانيا السوفياتية، فقد تم قمع مؤيدي الاستقلال بوحشية من قبل الشرطة السرية، وعانى السكان من أضرار جسيمة جراء المجاعة خلال تطبيق عملية التجميع الزراعي (السياسة الزراعية التعاونية)، لكن من جهة أخرى، ساعدت سلطات الاتحاد السوفياتي في تطوير الثقافة الأوكرانية واللغة والتعليم والصناعة. كان الوضع في الدول الأخرى التي كانت تأوي الأقليات الأوكرانية أكثر تعقيدًا. ففي بولندا، رومانيا، وهنغاريا، كانت تتحكم بالسلطة قوى قومية راديكالية، تنفذ سياسات قمع وتمييز ضد الأقليات الدينية والعرقية. وهذا، بدوره، أدى إلى تصعيد ورفع منسوب التطرف في الحركة السرية الأوكرانية.**

**في العام 1929، نتيجة لتوحيد العديد من الجماعات القومية، تم إنشاء منظمة القوميين الأوكرانيين (OUN)، والتي أصبحت جزءًا من الحركات القومية والفاشية المتطرفة الَّتي نشأت في أوروبا الشَّرقية في الفترة الواقعة ما بين الحربين العالميتين. ولعلَّ بعض المؤرخين يعيدون أسباب هذا الأمر إلى حالة الفقر المدقع التي كانت تعانيها هذه المناطق والبلدان، وتغلغل الأفكار الفاشية مع وجود عدد كبير من الجماعات القومية والطوائف الدينية فيها، الَّتي قررت الاهتداء بمثال الحركات الفاشية الصاعدة في إيطاليا وألمانيا التي حققت بشعاراتها الفضفاضة بعض النجاحات السياسية.**

**وكصورة نموذجية عن منظمة القوميين الأوكران (OUN)، ظهرت حركة أوستاشا الكرواتية  (Ustasha)، والتي استندت في أيدولوجيتها على السياسة العنصرية لألمانيا النازية، نشطت هذه المنظمة الفاشية الكرواتية في الفترة ما بين عامي 1929 و1945، فقتل أعضاؤها الآلاف من الصرب واليهود والغجر والمعارضين السياسيين في المسرح اليوغوسلافي للحرب العالمية الثانية. عُرفت المنظمة، بشكل خاص، بأساليب الإعدام الوحشية التي غالبًا ما كانت تشمل التعذيب وتقطيع الأعضاء، ومنها أيضًا حزب السِّهام المتقاطعة الفاشي المجرية Arrow Cross Party، وبروز دور مؤسس الفكر النازي في المجر سالاشي فرنس، وأيضًا حركة الحرس الحديدي الرومانية (Garda de Fier)، وحزب الشعب السلوفاكي هلينكوفا Hlinkova Slovak People’s Party -الحزب الديني القومي السلوفاكي، وغيرها. لقد كانت هذه المنظمات الفاشية عادةً ما تتصدى للأنظمة اليمينية والمحافظة في دول شرق أوروبا من خلال مواقف أكثر تطرفاً من الناحية القومية والعرقية، وشعارات راديكالية تحمل كراهية ضد الأجانب.**

**حلم الدولة القومية الأوكرانية**

**كان قادة القوميين الأوكرانيين يحلمون بإنشاء إمبراطورية أوكرانية كان من المفترض أن تصل إلى الحدود مع الصين. في سياق هذه الفكرة كتب ميخائيل كولودزينسكي، أحد قادة منظمة القوميين الأوكران في كتابه “العقيدة العسكرية الأوكرانية”: “في المرحلة الأولى من الثورة – أو بالأحرى الانتفاضة – يجب علينا، بعد تحرير الأراضي العرقية، أن نتوقف عند الفولغا، ثم نقوم بنقل مقاتلينا  إلى خط موغيليف – ساراتوف، وتحويل الحرب  إلى كازاخستان من أجل تقديم المساعدة لمستعمراتنا الجديدة، وتهديد المراكز الصناعية لموسكو في ماجنيتوغورسك وكوزنتسك.**

**ومن المتعارف عليه أن مبادئ الفكر القومي الأوكراني “الكلاسيكي” قد تمت صياغتها من قبل المحامي الخاركوفي نيقولا ميخنوفسكي، وهو واحد من مؤسسي “أخوة تاراسيف”، و”الحزب الأوكراني الثوري (RUP)، ثم “حزب الشعب الأوكراني” “(الحزب الوطني المتحد). واعتبر بيان القومية الأوكرانية هو الكتيِّب الذي أصدره ميخنوفسكي والذي حمل عنوان “أوكرانيا المستقلة” (1900)، ثم ظهرت لاحقًا  “الوصايا العشر لحزب الشعب الأوكراني ” (1903)، حيث أوجز ميخنوفسكي برنامج الحركة القومية الموجه إلى “الجيل الثالث” من المثقفين الأوكرانيين، الذين، وفقا له، يجب أن يشكلوا أوكرانيا مستقلة جديدة (فالجيل الأول، وفقا لميخنوفسكي، خدم بولندا، والثاني – روسيا). فما هي هذه “الوصايا”:**

1. **إن إنشاء جمهورية أوكرانيا الديمقراطية الحرة الواحدة وغير القابلة للتجزئة – من منطقة الكاربات إلى القوقاز – تمثل نموذجًا وطنيًا لعموم أوكرانيا.**
2. **2. كل الناس هم إخوتك، لكن الموسكوب والبولنديين واليهود هم أعداء شعبنا. إنهم يسيطرون علينا وينهبون خيراتنا.**
3. **3. أوكرانيا للأوكرانيين، وبالتالي لن نلقي أسلحتنا بينما يوجد شخص غريب واحد على الأقل على أرضنا.**
4. **4. استخدم اللغة الأوكرانية دائمًا وفي كل مكان. لا تدع زوجتك ولا أطفالك يسمحون لأنفسهم بأن يتعرضوا لتشويه سمعتهم من قبل الظالمين الغرباء والأجانب.**
5. **5. احترم زعماء وطنك، واحتقر أعداءه، وارفض المرتدين، فيكون ذلك خيراً لشعبك ولكم.**
6. **6. لا تقتلوا أوكرانيا بسبب احتقارك لمصالح الشعب.**
7. **7. لا تصبح مرتدًا وخائنًا.**
8. **8. لا تنهب شعبك بالعمل لصالح أعداء أوكرانيا.**
9. **9. ساعد مواطنك أولاً.**
10. **10. لا تتزوج امرأة غريبة لأن أولادك سيتحولون إلى أعدائك.**

**لا تصادقوا أعداء شعبنا، فهذا سيزيدهم قوة وشجاعة. لا تنصر ظالمينا فتكون أنت خائناً» (1).**

**أحد أبرز الشخصيات الناشطة كان ميخائيل دراغومانوف، وقد كانت أفكاره تتعدى نطاق النشاط الثقافي والفكري.  كان دراغومانوف يعتقد أنه يجب على أوكرانيا أن تصل إلى مستوى سياسي واقتصادي اجتماعي يشبه تلك الدول الأوروبية المتقدمة. بشكل عام، على الرغم من أنه لم يدعم فكرة فصل أوكرانيا عن روسيا، إلا أنه اعتبر من الضروري إعادة تنظيم الإمبراطورية الروسية إلى اتحاد حر للمناطق المتمتعة بالحكم الذاتي، حيث يتم اتخاذ القرارات بالأساس على المستوى المحلي.**

**خلال سنوات الحرب الأهلية، ظهرت فكرة الاستقلال والقومية في أوكرانيا بقوة لتتحول إلى حركة سياسية فعّالة، خاصة خلال فترة حكم الهتمان بافل بتروفيتش سكوروبادسكي (1873—1945)، ورئيس الإدارة المديرية سيمون بيتليورا (1879—1926) التي تشكلت بدعم مباشر من ألمانيا القيصرية، مما جعلها في الواقع عنصرًا هامًا في السياسة الحكومية.**

**نقطة التحول الرئيسية في تطور فكرة القومية الأوكرانية في عشرينيّات من القرن العشرين، تجسدت في أعمال ديمتري إيفانوفيتش دونتسوف (1883- 1973) الذي يعتبر من أبرز الشخصيات التي جهدت لتكريس الفكر القومي الأوكراني، فقد طور أيديولوجية القومية المتكاملة، والتي أصبحت الأساس لمنظمة القوميين الأوكرانيين (OUN) (2). ففي كتاب له صدر عام 1918، “كييف”، صاغ دونتسوف فكرة “المحارب المحظوظ” – القائد الذي سيقود الأمة ويحقق النصر النهائي على موسكو [11].**

**وفي كتاب آخر لدونتسوف تحت عنوان: “القومية”، صاغ فكرة أخرى وهي الفكرة الوطنية القومية التي يجب أن تكون “غير أخلاقية”، أي لا تأخذ في الاعتبار القيم والمبادئ المعتادة في الحياة الاجتماعية: … تقوم القومية بدور المغناطيس الذي يجذب الجماعات على الرغم من كونها أقلية. تمارس هذه القومية تأثيرها على أفكار وإرادة الجماهير، وتنظم نفسها ليس كحزب أو تحالف، بل في منظومة ابية، وتقود هذه الجماهير (3).. دونتسوف قدم فرضية حول الصراع الأبدي بين الأمم، مستلهمًا نظرية داروين في المجال الاجتماعي، مما يجعل فكرته تقترب من أيديولوجية الفاشية. الملاحظ هو أنه بعد انتهاء الحرب الوطنية العظمى، كرر ستيبان بانديرا كلمات دونتسوف: “لم يكن العدو هو النظام الحاكم فقط – سواء كان قيصريًّا أو بولشفيًا؛ بل الأمة الموسكوفية نفسها”.**

**على هذا الأساس ليس من المستغرب أن يُنظر إلى منظمة القوميين الوكران في الثلاثينيات على أنها تهديد لجميع دول أوروبا الشرقية تقريبًا. وبسبب ذلك تعرضت قيادة ونشطاء القوميين الأوكرانيين للقمع، وقاموا هم بدورهم بالرد بأعمال إرهابية. تم إعدام ميخائيل كولودزينسكي المذكور أعلاه من قبل السلطات المجرية. أصبح القادة البارزون الآخرون للحركة الأوكرانية ضحايا للمخابرات السوفيتية – ستيبان بانديرا، يفغيني كونوفاليتس، رومان شوخيفيتش. عشية الحرب العالمية الثانية، أصبحت ألمانيا النازية الحليف الرئيسي لمنظمة القوميين الأوكران. بدأ تدريب المخربين الأوكرانيين في القواعد العسكرية الألمانية، التي كان من المقرر استخدامها في الحرب ضد تشيكوسلوفاكيا وبولندا والاتحاد السوفياتي.**

**لم يكن لدى أعضاء الحركة القومية الأوكرانية وقت للمشاركة في الحرب ضد بولندا، لكنهم ساعدوا بنشاط القوات الألمانية خلال الهجمات على الاتحاد السوفيتي في 22 يونيو – حزيران 1941. لقد قاتلوا كجزء من وحدات التخريب التابعة للرايخ الثالث، وخدموا أيضًا في الشرطة الألمانية. صحيح أن العلاقات بين القوميين الأوكرانيين تدهورت لاحقًا بعد أن أصبح من الواضح أن هتلر لم يكن ينوي منح أوكرانيا الاستقلال، بل أراد استخدامها كمستعمرة. تم القبض على بعض قادة الحركة القومية OUN من قبل الألمان وإعدامهم، فيما واصل آخرون التعاون مع النازيين، وظل آخرون محايدين وعملوا على مضاعفة قواهم.**

**دور القوميين الأوكران خلال الاحتلال الألماني للاتحاد السوفياتي**

**منذ بداية الغزو الألماني، تم استخدام وحدات مسلحة تابعة لمنظمة لحركة القوميين الأوكران لترويع الأقليات القومية. وكان الضحايا الرئيسيون للقوميين هم اليهود والبولنديين. بعد أن احتل الألمان لفوف في 30 يونيو – حزيران 1941، وقعت مذبحة لفوف، حيث قتل نشطاء المنظمة عدة مئات من الروس واليهود. استمرت إبادة السكان في أوكرانيا على يد القوميين بشكل نشط حتى عام 1943، عندما أصبحت هزيمة الرايخ الثالث أمرًا لا مفر منه، وبدأت قيادة القوميين الأوكرانيين العمل على فض يدها والتنصل من دورها بما قامت به بحق الأقليات على اختلافهم.**

**في نهاية فبراير – شباط 1943، أدت الصدامات التي حصلت بين السكان البولنديين والأوكران في فولين (منطقة تاريخية في أوكرانيا) إلى موجة من العنف عرفت في التاريخ باسم “مذبحة فولين”. سعى كل من البولنديين والأوكرانيين إلى تدمير جيرانهم من أجل ضم المنطقة لاحقًا إلى الدولة البولندية أو الأوكرانية. تبين أن تصرفات القوميين الأوكرانيين كانت أكثر “فعالية” وأدت إلى مقتل ما بين 30 إلى 40 ألف بولندي. تم تنفيذ التطهير العرقي من قبل قوات جيش المتمردين الأوكراني (UPA)، الذي أنشأته منظمة القوميين الأوكران في مطلع عام 1943-1943. وكانت ضحايا هذه الإبادة العرقية أيضًا الأوكرانيون الكاثوليك والروس والتشيك والأرمن.**

**في عام 1943، شكل النازيون من بين الأوكرانيين فرقة SS غاليتشينا الرابعة عشرة، والتي شاركت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في الأعمال الحربية ضد الثوار السوفييت وضد الثوار من أوروبا الشرقية. بعد استسلام الرايخ الثالث، استسلم جنود الفرقة للأمريكيين وهاجروا إلى الولايات المتحدة ودول أوروبية أخرى.  وبعد انسحاب القوات الألمانية من أراضي أوكرانيا، خاضت وحدات الجيش الثوري الأوكراني حرب عصابات ضد الاتحاد السوفييتي وبولندا وتشيكوسلوفاكيا حتى أوائل الخمسينيات، حتى قضت عليها قوات الأمن.**

**أدى التعاون مع النازيين والإرهاب ضد المدنيين إلى تقويض سمعة الحركة الوطنية الأوكرانية إلى حد كبير، على الرغم من أن نشطاءها بعد الحرب العالمية الثانية حاولوا تصوير تعاونهم مع الرايخ الثالث على أنه كان قسريًّا، بل وحاولوا حتى تصوير منظمة القوميين الأوكرانيين والجيش الثوري الأوكراني باعتبارهم قوة كانت تقاتل في نفس الوقت النازيين والشيوعيين، ووضعوا أنفسهم كـ “ضحية الدكتاتوريتين”.**

**بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، بدأت أوكرانيا، مثل العديد من الدول الأخرى في منطقة ما بعد الاتحاد السوفياتي، في إنشاء أسطورة وطنية خاصة بها. لقد ناقش المؤرخون والسياسيون الأوكرانيون لفترة طويلة المكان الذي سيحتله سيمون بيتليورا وستيبان بانديرا ورومان شوخاريفيتش وغيرهم من الشخصيات المثيرة للجدل في تاريخ البلاد.**

**المراجع:**

* **بيزرودني إي إف. نيكولاي ميكنوفسكي / دون الحق في إعادة التأهيل (مجموعة من المنشورات والوثائق التي تكشف الجوهر الفاشي المناهض للشعبية للقومية الأوكرانية والمدافعين عنها). ط.2، منقحة ومزيدة. الكتاب (1)، 2006.ص.ص.196-200 .**
* **فوزنياك بي، ليبينسكي ضد دونتسوف: لوحة ثنائية أوكرانية على خلفية العصر، مجلة مرآة الأسبوع (أوكرانيا). 2011. 11 مارس-  آذار.**
* **جيندا ف، ضد أوكرانيا التي لم تكن موجودة من قبل، مجلة المراسل. 30 يونيو – حزيران 2007. العدد 25 (264).**